المجموعة القصصية الثانية لصوفيا الهدّار (ظلال لا يرسمها الضوء)

كمال محمود علي اليماني

شرفتني القاصة صوفيا الهدّار بأن أهدتني نسخة من مجموعتها الثانية (ظلال لا يرسمها الضوء)، وهي مجموعة حوت 24 قصة قصيرة، وست قصص قصيرة جدا، وهي من إصدارات هذا العام، وجاءت في 93 صفحة من المقاس المتوسط.

أهدت القاصة مجموعتها إلى:

(أمي المرأة... الاستثنائية)

والملاحظ أنها وضعت بعد كلمة المرأة ما يعرف بنقاط الحذف، وهي ثلاث نقاط تحمل إشارة إلى أوصاف كثيرة تتمتع بها هذه المرأة التي هي أمها.

أول ما يشدك إلى المجموعة عنوانها، فهو عنوان مراوغ لا يضع دلالته بين يديك إلا بعد أن ترحل خلال متن المجموعة ؛ لتدرك من خلال المتن ماهية تلك الظلال. وهي ظلال لأناس في المجتمع، يعيشون بين ظهرانينا، غير أن قسوة المجتمع حرمتهم العيش الكريم تحت سماء أوطانهم ينعمون بضياءات الشمس وبهجة النور. فالظلال هنا ترميز ينضح بالجمالية، والعِنوان مكون من ثلاث كلمات هي ظلال منكرة لتدل على كثرتها وهي مبتدأ، وخبرها جملة فعلية منفية لتتأكد سلبية المجتمع إزاء شخوص المجموعة.

وبالرجوع إلى الحقل الدلالي لعناوين قصص المجموعة، نجد عناوين كثيرة حملت في دلالتها معان سلبية تشير إلى الجو العام الذي تعيّشك فيه لَفظة الظلال، فنجد مثلا: ظل، وسم، السلّم والثعبان، عدو جديد، ظمأ، مفخخ بالاحتمالات، شوائب روح، تهمة، أقنعة، بورصة الموت... وهكذا.

خط السرد بالمجمل سار مستقيما دون استرجاعات أو استباقات أو وقفات حوارية تبطىء حركة السرد، بل على العكس من ذلك، فلقد عمدت القاصة إلى تسريع السرد باستخدام جمل ذات أفعال متتالية، مثل قولها في قصة (السلم والثعبان): (وهنا رأى شيخه وقد استحال ثعبانا بعمامة، ارتجف، لكن الثعبان عصره، حطم عظامه، ثم لدغه لدغته المسمومة)).

أو قولها في قصة (محطات) : ((دماء تنزف، أجهزة تنذر، همهمات قلقة، حركة متوترة، خطوات تسرع، أوامر هنا وتعليمات هناك)).

وفي ذات القصة : ((تهدأ الأجهزة، تصدر صوتا رتيبا، ترسم موجات منتظمة على الشاشة. يعود الهدوء وتعود الأيادي ذات القفازات الملطخة...)).

أو قولها في قصة (على الحافة) : ((ترتعد في مرقدها، تختنق الصرخات في جوفها، وتتمزق الحروف في حلقها ؛ فتخرج كالخيوط البالية : من أنت؟)).

والملاحظ أن القاصة صوفيا الهدار قد عمدت إلى استخدام الفعل المضارع في 11 قصة من قصص مجموعتها، ومعلوم أن الفعل المضارع يشير إلى حضور اللحظة الآنية التي تتأتى من خلال تكثيف الشعور بالزمن الحالي، كما أنه يحمل شحنة حركية وحيوية.

المجموعة تناولت مواضيع حياتية شتى لاتخطئها عين القارئ، وهي تضم حوادث ومواقف يعيشها أفراد المجتمع هنا وهناك،

غير أن جمالية المجموعة وفنيتها تكمن في تصوير هذا الواقع بعيدا عن النقل التصويري المباشر، وعن التقريرية والوعظية، بل إن القاصة قد لجأت إلى تقنيات عدة، ومنها الترميز في تناول تلك الأحداث والمواقف مما يمنح قصصها شفافية بديعة، وبعدا جماليا وفنيا متميزا، كما في قصة (السلم والثعبان)التي أبدعت القاصة في تناول موضوعها المتمثل في هتك براءة طفل ؛ هو واحد من أطفال عدة حدث لهم ماحدث له، ولقد سردت وقائع ذلك الهتك في خطوات متتالية، وفي أزمان مختلفة، وأماكن متعددة، ومن قبل أناس متعددين في إشارة واضحة إلى إدَانة المجتمع بأكمله من أوله إلى آخره. وكذلك في قصة (تهمة)، وغيرها من القصص، ومادمنا قد وصلنا إلى قصى (تهمة) فيجدر بنا إذن الحديث عن تقنية بديعة استخدمتها القاصة صوفيا الهدار، وهي تقنية أنسنة أبطال قصصها ؛ إذ تصنع أبطالا لقصصها من حيوانات، كما في قصة (شاهد)، إذ بطلتها قطة، وتبرز المرآة بطلة في قصة (مرآة الأسئلة)، وتكون حاوية القمامة بطلة في قصة (تهمة)،وهي القصة التي تناولت حادثة موت طفلة صغيرة كانت تبحث عن الطعام في حاوية القمامة، غير أن الحاوية انقلبت عليها، وجثت فوق صدرها فأودت بها، وهي حادثة كان لها وقعها يوم حدوثها، وهزت ضمير الكاتبة فتناولتها لتكشف الظلم الواقع على أناس في المجتمع يتضورون جوعا، في حين أن الفساد يتخم أناساً آخرين، ولعل هذه القصة إلى جانب قصة (بين يدي نص) التي تتناول قصة واقعية حدثت في إحدى مدن الريف، حيث قتل رجل طفله بفصل رأسه عن جسده

في خلاف مع زوجته أم الطفل، ثم لايكون عقابه إزهاق روحه ؛ تشيران إلى مدى تأثر القاصة بما يدور في المجتمع، وما يتعرض له أفراده من حوادث يهتز لها ضميرها فتسكبها أحاسيس ومشاعر موجعة بجمالية وصدق فني يجبرك على أن تقف أمامها، وتستنكر ما حدث، في إدانة صريحة للحال الذي وصلنا إليه كمجتمع.

والجميل أن القاصة صوفيا الهدار تلجأ في بعض قصصها إلى الظهور والبروز من خلال القص؛ لتضع رؤيتها في الحوادث والمواقف، لا كساردة بل كمؤلفة للنص كما في قصة (بين يدي نص)، وقصة (مفخخ بالاحتمالات، وكذا قصة (على الحافة).

تعددت شخصيات المجموعة بين رجل، وامرأة، وطفل، وزوج وزوجة، ونص، وقطة، ومرآة، وحاوية قمامة، وإعصار وغيرها، مما يشير إلى تعدد المواضيع المطروقة، والتي حملت كشفاً لكثير من عورات المجتمع ومظالمه التي تقع على أبطال القصص من هتك عرض، وجوع، وعنف زوج، وقسوة مجتمع، وموت الشباب في جبهات القتال تحت إلحاح الحاجة والعوز وإغراء الراتب العملة الصعبة، وتتجلى إدانة القاصة لهذا الأمر بالذات من خلال قولها : ((يطالع صورة ابنه الذي سقط في الجبهة قبل ستة أشهر))، فاستخدامها للفعل سقط دون الفعل استشهد يحمل دلالة أكيدة على إدانتها لذهابه للمعركة تحت ضغط الحاجة.

وتلجأ القاصة في بعض قصصها إلى تقنية المناجاة، حيث يتحدث السارد إلى شخص حاضر أو غائب دون أن يجري حوارا معه، ويفضي له بمكنونات صدره.

كما في قصة (ظل)، وقصة (مرآة الأسئلة)، وكذا قصة (شوائب روح).

أما لغة المجموعة، فعلى الرغم من أنها تتحدث عن الواقع المعيش، إلا أن هذا لم يحرم المجموعة من اللغة الشعرية والصور الفنية الجميلة في كثير من الأحيان.

ولعل القارئ الحصيف لن يفوته الانتباه إلى خواتيم كثير من القصص، حيث عمدت القاصة إلى خواتيم مدهشة، وغير متوقعة كما في قصة (الظل)، أو قصة (وسم)، وكانت بعض هذه الخواتيم ساخرة كما في قصة (بورصة الموت)، وبعضها موجع كما في قصة (السلم والثعبان).

في الصفحتين الأخيرتين من المجموعة طالعتنا ست قصص قصيرة جدا، تحت عنوان حسابات غزاوية، وهي شكل من أشكال التجريب في الكتابة القصصية لدى القاصة صوفيا الهدار، تميزت بالإيجاز والتكثيف، تقول في أخراها :

((عندما وصل للعدد عشرة في لعبة الغميضة؛ كانت عائلته قد اختفت تماما.))، في أقل من سطرين استطاعت أن تصور مأساة طفل غزاوي تحاصره الحرب من كل مكان.

استمعت كثيرا بقراءة قصص المجموعة، ورأيت كم تقدمت القاصة صوفيا الهدار في فنية الكتابة القصصية!، وكيف أنها تسير بخطى دؤوبة واثقة تؤكد موهبتها القصصية، وترسم لها طريقاً مضيئاً، ومستقبلاً وضيئاً بظلال حقيقية متأتية من سطوع شمس موهبتها.

نص

قصيدتي

للشاعر/ عبدالكريم السيافي

أذوب معها.. وتذوب المشاعر
والأحاسيس واللوعة
ويزداد اشتياقي
كراود طيف خيالي
فاتلاشى في افلاكها
وأطوف في الآفاق
تأسرني.. تسلب مني
الفكر العقل اللب
والوجدان عند العناق
تقبل الي فجأة
وتستنهض انفعالات وتأملاتي
بغير موعد للقاء
تنازع من قَلبي حَباً
وافصح لها وبها
ماتخفيه احداقي
ابحث معها وبها
عن شكي عن يقيني عن ذاتي
ونمخر في بحر أعماقي
تدوي بصرخاتي وثوراتي
وآهاتي وأناتي
ولوعة اشتياقي
هي مني.. وأنا في عرشها
ملك حكيم آمر واعظ
وعاشق باكي المآقي
هي مليكة وجدي
واسفاري وتجولي
وحلي وترحالي
ووطن لوجداني القلقِ
تؤنسني في الوحشة
اناجيها وتناجيني
في ليال غائبة الأقمار
تسير بِنسق منظم
رداءها الدر والدُرز
سمرة البيان تزين بالقوافي
تنشد الحكم المنيرة
وتضرب الأمثال الجديرة
وتروي سير الأبطال المثيرة
ونبض العاشقين عند التلاقِ
انها بنات افكاري
هي لي وجدي وكل حماقاتي
خير جليسي وأصدق أصدقائي

قصة قصيرة

مغوش الماء

أيوب ردمان محمد

تناول (مغوش الماء) وجبة عشاء ساخنة مشبعة بالبسباس والبهارات مما فتح شهيته فالتهم مقادير كبيرة من الطعام دون ان يعمل حساباً لقدرة معدته على هضمها. وبعد ان فرغ من الطعام غادر المطعم وهو في حالة رضاء وسرور من نفسه، عاد إلى منزله وقعد على أقرب اريكة يشاهد الأخبار وما ان مرت دقائق بدأ النعاس يداعب عينيه فنام بكامل ملابسه، وبينما هو يغط في نومه بدأت كوابيس وأحلام مزعجة تناوشه فأخذ يحرك رأسه يميناً ويساراً محاولاً القاءها عن مخيلته ولم يفلح في ذلك.

نهض مغوش الماء بعد وقت وجيز وخلد إلى فراشه وما أن استغرق في النوم حتى داهمته الأحلام مرة اخرى وحاول ان يغطي رأسه بالوسائد لعله يتمكن من العودة إلى النوم ولم تفلح جهوده في طرد الأحلام المجهدة، وبعد وقت هداه تفكيره إلى اللجوء إلى بعض الحيل التقليدية لاستدعاء النعاس إلى اجفانه وبدأ في العد العكسي من ألف إلى الصفر ثم بدأ يكرر العد وإذا بالنعاس يغشاه من جديد وبعد ان تقلب في فراشه عدة مرات ذهب (مغوش الماء) في سبات عميق لم يصح إلى ضحى اليوم الثاني.

فتح (مغوش الماء) عينيه وجال بصره في أنحاء الغرفة يطالع اللوحات الكرتونية المعلقة على جدران الغرفة كأنه يشاهدها لأول مرة، لم تعبه تلك الحكم والأمثل التقليدية التي حرص في أوقات سابقة على اقتنائها وحفظها وهذه الحكم لا تصلح لهذا العصر وفكر باستبدالها ولكنه تردد وتلكأ ثم صرف الفكرة نهائياً بعد تلقي لوحة من أحد اصدقائه مكتوب عليها عبارة (رأس الحكمة مخافة الله). نهر (مغوش الماء نفسه) حتى يتسنى له تجاوز طباعه وسلوكه بعد تلك الليلة ولكنه لم يفلح فهو لم يعد يطيق عاداته ولا مقتنياته القديمة.

فإذا نظر إلى سريره مثلاً تداخله الرغبة في تغييره فيبادر اليوم الثاني إلى استبداله بآخر والغريب ان عاداته في النوم تغيرت فاصبح يغط في النوم تحت السرير بدلاً من فوقه وكذا بالنسبة لدراجته النارية عزم على استبدالها باخرى هوائية ليتمكن من ادخالها وسط شقته. لم يعان (مغوش الماء) من أي أرهاق أو تعب عند استبداله عاداته بأخرى أو أصوله ومقتنياته بل يشعر بالرضاء عن نفسه حتى بعد ان لازمه هم ورغبة باستبدال ستائر منزله باخرى تعمل بالريموت كونترول وتكبد نفقات كثيرة حتى ادخل ستائر جديدة.

هذا العارض الذي الم بسلوك (مغوش الماء) ظهر عليه بعد تلك الوليمة الثقيلة (وجبة العشاء) السابق ذكرها وحتى يحافظ

(مغوش الماء) على مدخراته من النزيف اقترح عليه جاره تجميد مشاريعه المفرطة بالغرابة وذلك بتأجيل الانفاق البذخي على أمور ليست بالأهمية أو الملحة وبدلاً من أن يفكر بالنصيحة الذهبية إذا بمغوش الماء تظهر عليه حالة من الوجوم فلا يجد لها من حل سوى التفكير بالسفر هنا بدأ يبحث عن مصادر اضافية لحصول رحلاته المبرمجة والتي أعدها بمساعدة مكاتب سفريات متخصصة وما هي إلا أسابيع حتى حط (مغوش الماء) في إحدى العواصم الآسيوية.

الشيء الذي لم يفكر فيه ولم يضعه في حسابه والذي سيفقده (مغوش الماء) كثيراً هو أوراق القات وجلسة القات. المهم تحت ضغط العادة اليومية لمضغ القات عاد سريعاً (مغوش الماء) إلى مدينته الاثيرة. شعر (مغوش الماء) عند عودته إلى بلده ومدينته بانه قد عاد إليه اعتداله وذهبت عنه أزمة انعدام الوزن إلا من عادة واحدة هي رغبته الدائمة في تعكير المياه النقية، وهي العادة التي شغف بها منذ ان كان يلهو كطفل صغير في المياه النقية من ينابيع المياه الطبيعية فيجد هوايته بحبس الماء خلف سواتر من الرمال ثم يدعها تندفع بعد جمعها خلف الساتر الترابي لتعكير المياه الصافية، وهكذا سارت بقية ايامه.

نافذة ثقافية

المؤسسة العامة للسينما.. ضرورة ملحة

طارق حنبله

عرفت مدينة عدن الرائدة بوابة الفكر والعلم النور والادب الحياة السينمائية ومكانتا ودورها وألقها الفكري والثقافي والروحي والابداعي وحركة وعيها وعمقها ومدولاتها السياسية والحضارية والانسانية منتصف القرن الماضي وبشغف منقطع النظير كجمال محياها.

وقد كان لها تأثير كبير وكبير جدا في تنمية وتعزيز وترسيخ وتهذيب وتجميل وترقيق مشاعر عامة الناس وأسهمت إسهاما عظيما ومميزا في القضاء على الكثير من العادات الرجعية المتخلف والمفاهيم المجتمعية والسلوكية الجامدة والرتيبة والمتكلسة التي زرعها الجهل والتطرف والخوف من فتح نافذة المستقبل والاندماج مع حركة تطور وتقدم شعوب العالم كافة في ظل متغيرات سياسية وإيديولوجية عاصفة غيرت وجه الدنيا وما فيها ورسمت ابجديات جديدة بالمتغيرات المتسارعة في حياة شعوب المنطقة والعالم وأسهمت بأشكال عديدة في تبني أفكار ورؤى عصرية وحضارية متجددة في عقل وروح وبنية حياة الانسانية آنذاك ليتزين كوكب الارض ومحور وجوده وتقدمه وتطوره اللاحق الانسان بثقافتين مختلفتين عكستا نفسهما على المشهد الثقافي الفكري والعاطفي وحقوله وواحاته المختلفة ومن ضمنها فضائيات السينما وإسهاماتها العظيمة في خلق أجيال جديدة متسلحة بقيم ومفاهيم تحمل روح التجديد.

لقد كان لمدينة عدن التاريخ دورها الريادي والمحوري وبصمتها الفكرية والروحية والتنويرية في اليمن الجديد ومنطقة شبه الجزيرة العربية والشرق الأوسط ككل من خلال تبنيها لأفكار ثقافية وإيديولوجية وعصرية متوهجة آنذاك غيرت الملامح الكلاسيكية أو التقليدية لوعي وسلوك وثقافة المنطقة عبر بوابتها العاطفية الكبيرة والمثيرة للاعجاب والدهشة السينما.

لقد لعبت المؤسسة العامة للسينما من خلال اوجهها العديدة وكوادرها ومسؤوليها وفعالياتها المختلف وحركة وعيها الهادفة والمتميزة قولا وفعلا، وبما لا يدع مجالا للشك، دورا هاما وفاعلا ومتميزا وحيويا حقا في إثراء الواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وكان لها نصيب كبير جدا في كبح جماح الجهل والتطرف والتزمت الأعمى المشين.

وكم نحن اليوم بحاجة ماسة وملحة لعودة هذا اللاعب الثقافي والفكري الانساني للخروج سريعا وسريعا جدا من شرنقة الواقع الجامد والمتخلف بكل صوره المقرفة وأدواته ومفاعيله الهشة والرتيبة في وريد ونبض وشرايين حياتنا ومرارة يومياتنا الحبلى بالتطرف والجهل والأمية والافكار الدنيئة والمغلوطة والفساد والحسابات السياسية الخاصة والسخيفة والضيقة التي تتبناها قوى الظلام والعبث المتسلحة للأسف الشديد بافكار ورؤى الامامية البائدة وخرافاتها وشعوذتها السياسية البليدة واخص بالذكر الحوثيين الذين يقفون حجر عثرة أمام اي تطور أو انفتاح على العالم.

إن اي عملية تطور أو تقدم رهن وبشكل اساسي وجوهري بما يقدمه قادة العمل الفكري والثقافي و الفني والابداعي لشعوبهم ودولهم من عطاءات وتضحيات وإسهامات خلاقة تستحضر قيم العمل الادبي بمضامينه الثابتة وصيغة وهجه المشرقة والنبيلة ولغته الجمالية الساحرة والأخاذة نحو مدارات وسماءات رحبة تلامس ضياء الاعين وقناعات جذورها التي تنبع من أرضية تعشق الحب والفرح وترنو نحو الشمس باسمة تذيب جليد التخلف والبلادة للمستنقعات المضمحلة ووضاعة ودناءة الغارقين في مصائدها الشيطانية المتنكرين بزي الوطنية وشعارات أثبت الزمن انها هلامية وبامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

اننا أمام مفترق طرق اليوم أيها السادة المحترمون يا ولاة أمرنا وسادة القوم، فإما أن نكون أو لا نكون إما أن نعود إلى طريق آبائنا واجدادنا ورواد حقلنا الثقافي والفني والابداعي الذين جسدوا العصرية والحضارية المثلى بكل زخمها وعنفوانها وألقها الجميل والهادف والنبيل من بوابتها الكبيرة (السينما) او أن نبقى هكذا بعيدين كل البعد عن ركب الشعوب المتقدمة والأمم التواقة لبناء جيل جديد متسلح بكل ما هو قيم وجميل وزاهر يرنو إلى فضاءات وعوالم الحياة الانسانية المتجددة من نافذة وإشراقات سينما اليوم التي نقلت شعوبا كثيرة من مستنقعات الجهل والتخلف والتزمت الاعمى القبيح إلى جنات العلم والنور والبهاء الوجودي الانساني الأكثر روعة عبر أثير دنيا السينما.

(لوحة وفنان)

الفنانة التشكيلية ابتهال القباطي

نبيل غالب

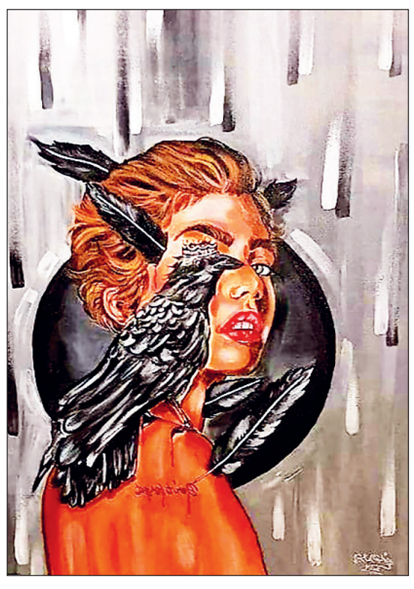

الفنانة التشكيلية ابتهال عبدالوارث.. والمعروفة باسم "ابتهال القباطي"، من اليمن عدن، درست «صحافة واعلام»، وتدرس «فنون جميلة وتصميم»، وضمن فريق مبادرة.. كيان.. لون.. تحمل.. مسؤولة العلاقات العامة.

تبدع "ابتهال" بالرسم على جميع الخامات وبجميع الالوان واقلام الرصاص والفحم، كما ان لديها القدرة على رسم جداريات وقصص مصورة (كوميكس).

تجيد الفنانة "ابتهال القباطي" الكتابة، ولديها كتاب بعنوان "معركة الحب" من تأليفها، كما انها تجيد فنون الخط بأنواعه، وشاركت ضمن فريق "مجلة حكاية" لعمل "الكومكس"، وكذا في "مجلة البطل الصغير" التي تصدر برسومات القصص المصورة، وتجيد اشغال الرسم على العبايات والتيشيرتات ورسم الجداريات.

الفنانة "ابتهال" شاركت في عدد من المعارض منها معرض عدن الابداعي الاول ٢٠١٨_ مهرجان عدن ٢٠١٩_ حوار الرؤية ٢٠١٩_ حوار لا للعنف ضد المرأة ٢٠٢٠_ وبرنامج ألوان جنوبية ٢٠١٩_ الملتقى الابداعي الاول والثاني ٢٠٢٢-٢٠٢٣_ معرض "كيان لون" رسم بوب ارت، كما شاركت مع منظمة يميديان وسوبر نوفا في مؤسسة فيجن ارت ضمن ورشة ريادة الاعمال، ومعرض ضمن هذه المؤسسة تحت عنوان "السلام"، ومشاركتها في رسم جداريات عن العنف ضد المرأة في شوارع عدن، وعملت على عملية التدريب في معهد اب ديت لطلاب الجرافيك للرسم، بالإضافة لدورة كوميكس، وورشة القصص المصورة، وايضا مشاركة بماتسوري 2 في ركن الرسم للانمي.

اللوحة بعنوان Don't forget

وتحكي عن قوة الانسان عندما تصنعها الاوجاع، وما يواجهه من خذلان، ومهما ضعف في لحظة، لن ينسى الالم، وستعود قوته مهما كان حجم الظلم الواقع عليه، وفي مرحلة ما يسمع صوتاً داخله يوقظه ويذكره بالا ينسى ولا يعود لمن لا يقدر قيمته.